

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ - سُورَةُ الطُّورِ

قال المهايي : سميت به لأنه لما تضمن تعظيم مهبط الوحي ، فالوحي أولى بالتعظيم ، فيعظم الاهتمام بالعمل ، لاسيما وقد عظم مصعد العمل وثمرته . وهذا من أعظم مقاصد القرآن . وهي مكية ، وآياتها تسع وأربعون .

روى الشيخان^(١) ومالك عن جبير بن مطعم قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فاسمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وروى البخاري^(٢) عن أم سلمة قالت : شكوت إلى رسول الله ﷺ إني أشتكى ! فقال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة . فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت ، يقرأ بالطور وكتاب مسطور .

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٥٢ - سورة الطور ، ١ - حدثنا عبد الله بن يوسف ، حديث رقم ٤٦٥ . وأخرجه مسلم في : ٤ - كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٧٤ (طبعنا) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٥٢ - سورة الطور ، ١ - حدثنا عبد الله بن يوسف ، حديث رقم ٣٠٩ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (وَالطُّورِ)
- [٢] (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ)
- [٣] (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ)
- [٤] (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ)
- [٥] (وَالسَّفِّهِ الْمَرْفُوعِ)
- [٦] (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)

« وَالطُّورِ » أى طور سينين ، جبل بَدَيْنَ ، سمع فيه موسى ، صلوات الله عليه ، كلام الله تعالى ، واندك بمور تجاميه تعالى .

« وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ » أى مكتوب . والمراد به القرآن ، أو ما يعم الكتاب المنزلة .
« فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ » متعلق بـ (مسطور) . أى وكتاب سطرّ في ورق منشور يقرأ على الناس جهاراً . و (الرق) الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه .

« وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ » أى الذى يعمر بكثرة غاشيته . وهو الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار والطائفين والعاكفين والمجاورين . وروى أنه بيت فى السماء بحيال الكعبة من الأرض . يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً . والأول أظهر ، لأنه يناسب ما جاء فى سورة (التين) من عطف (الْبَلَدِ الْأَمِينِ) على (طُورِ سَيْنِينَ) والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، لتشابه آياته ، وتماثلها كثيراً ، وإن تنوعت بلاغة الأسلوب .

قال المهايى : أوردته بعد الكتاب الذى هو الوحى ، لأنه محل أعظم الأعمال المقصودة منه ، ولأنه مظهر الوحى ، ومصدر الرحمة العامة المهداة للعالمين ، ولأنه من أجل الآيات وأكبرها . كما دل عليه آية^(١) (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) وآيات أخر .

« وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ » يعنى السماء . وجعلها سقفاً ، لأنها للأرض كسواء البيت الذى

هو سقفه .

« وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ » أى المملوء ، أو الذى يوقد ، أى يصير ناراً ، كقوله^(٢) (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال ابن^(٣) جرير : والأول أولى . أعنى : أن معناه البحر المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض ، لأن الأغلب من معانى (السَّجْر) الإيقاد أو الامتلاء . فإذا كان البحر غير موقد اليوم ، ثبتت له الصفة الثانية وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ . ولاتنس ماقدمنا فى أوائل (الذَّارِبَاتِ) من أن هذه الأقسام كلها دلائل أخرجت فى صورة الأيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ)

[٨] (مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)

[٩] (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا)

[١٠] (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا)

[١١] (فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ)

[١٢] (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ)

(١) [٢٩ / العنكبوت / ٦٧] . (٢) [٨١ / التكاوير / ٦] .

(٣) انظر الصفحة رقم ١٩ و٢٠ من الجزء السابع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

[١٣] (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً)

[١٤] (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ)

[١٥] (أَفَسِحْرُهُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)

[١٦] (أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ)

« إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ » أى يدفعه عن المكذبين ، فينقذهم منه إذا وقع . « يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا » أى تضطرب . « وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا » أى تسير عن وجه الأرض فتصير هباءً منثورًا « فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » أى بالحق ، الجاحدين له « الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ » أى من الاعتساف والاستهزاء « يَلْعَمُونَ » أى بآيات الله ودلائله « يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً » أى يدفعون إليها بعنف . يقال : دَعَمْتُ فى ففاه ، إذا دفعته فيه بإزعاج « هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ » أى يقال لهم ذلك « أَفَسِحْرُهُ هَذَا » أى الذى وردتموه الآن . والفاء للسببية ، لتسبب هذا عما قالوه فى الوحى « أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ » أى كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا . قال الزمخشري : يعنى أم أنتم عمى عن الخبر عنه ، كما كنتم عمياً عن الخبر . وهذا تفرغ وتهكم . « أَصْلَوْهَا » أى : ذوقوا حره هذه النار « فَأَصْبِرُوا » أى على ألمها ، « أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ » أى الأمران . الصبر وعدمه سواء عليكم « إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » أى لاتعاقبون إلا على معصيتكم فى الدنيا لرَبِّكم ، وكفركم به .

قال الزمخشري : فإن قلت : لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ...) الخ ؟ قلت لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع ، لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير . فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ، ولا عاقبة له ولا منفعة ، فلا مزية له على الجزع .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ)

[١٨] (فَكَيِّسِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

[١٩] (كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

[٢٠] (مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ، وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَكَيِّسِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ» أى مثل الذين بما لديهم من الفواكه الكثيرة «وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» جمع (عيناء) ، وهى الواسعة العين ، فى حسن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا

أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ، كُلُّ أُمَّرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ» أى اقتفت آثارهم فى الإيمان والعمل الصالح «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» أى فى الجنات والنعيم . والخطاب ، لما كان مع الصحابة رضى الله عنهم ، وهم واثقون بوعد الله ، تم لهم البشارة بالموعود به ، بأنه ينال ذريتهم أيضاً ، إن اتبعوا آباءهم بإحسان . هذا هو المراد من الآية . وأما من قال فى معناها : إن المؤمن ترفع له ذريته فيلحقون به ، وإن كانوا دونه فى العمل ، فلا تقتضيه الآية تصريحاً ولا تلويحاً «وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ» أى وما نقصناهم من ثواب عملهم شيئاً «كُلُّ أُمَّرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» أى بما عمل من خيراً أو شراً مرتين به ، لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وإنما يعاقب بذنب نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ)

[٢٣] (يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ)

[٢٤] (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأْسَهُمْ لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ)

« وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ » أى زدناهم وقتاً بعد وقت ، ما ذكر .
 « يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا » أى يتعاطون فيها كأس الشراب ويتجاذبونها « لَا لَعْوُ فِيهَا
 وَلَا تَأْنِيمٌ » أى لا يتكلمون فى أثناء الشرب بسقط الحديث وباطله ، ولا يفعلون
 ما يؤثم به فاعله ، كما كان فى الدنيا . « وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأْسَهُمْ لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ »
 أى مصون فى كِنٍ ، فهو أنقى له ، وأصفى لبياضه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)

[٢٦] (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ)

[٢٧] (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ)

[٢٨] (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ، إِنَّهُ هُوَ أَكْبَرُ الرَّحِيمِ)

« وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ » أى يتجاذبون أطراف الأحاديث المفضية
 إلى شكر المنعم ، والتحدث بالنعمة ، وذلك فى مساءلة بعضهم بعضاً عما مضى لهم فى الدنيا .
 « قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ » أى خائفين من عذاب الله « فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ » يعنى : عذاب النار . وأصل (السَّمُومِ) الريح الحارّة التى تدخل
 المسام ، فسميت بها نار جهنم ، لشابقتها لها ، وإن كان وجه الشبه فى النار أقوى ، لكنه

في ربح السموم لمشاهدته في الدنيا ، أعرف . « إِنَّا كُفَّاءٌ مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ » أى نعبده مخلصين له الدين « إِنَّهُ وَهُوَ الْبَرُّ » أى المحسن بمن دعاه « الرَّحِيمُ » أى لمن عبده وخافه بالهداية والتوفيق .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)

« فَذَكَرْ » أى من أرسلت إليهم وعظهم « فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ » أى تتكهن فيما تدعو إليه ، « وَلَا مَجْنُونٍ » أى له رضى من الجن يخبر عنه قومه ما أخبر عنه ، كما يعتقده العرب في بعضهم ، ولكنك رسول الله حقاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٠] (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهٖ رَبِّبَ الْمُنُونِ)

[٣١] (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)

« أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهٖ رَبِّبَ الْمُنُونِ » أى حوادث الدهر أو الموت ، لأن (المنون) قد يراد به الدهر ، وربيه صروفه . وقد يراد به الموت ، وربيه نزوله . « قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » أى : حتى يأتى أمر الله فيكم . والأمر للهكم بهم والتهديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٢] (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا ، أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ)

[٣٣] (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُو ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ)

[٣٤] (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهٖ هٖ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)

« أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا » أى عقولهم بهذا التناقض في القول ، « أَمْ » أى بل

« هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ » أى مجاوزون الحد فى العناد، مع ظهور الحق « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُو » أى اختلق هذا القرآن من عند نفسه ، « بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ » أى لا يريدون أن يؤمنوا حسداً وتقليداً، فلذلك يرمونه بتلك الفرية . « فَلَمَّا تَوَأَّمُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ » أى فى الهداية بذلك الأسلوب الذى ملك ناصية الفصاحة والبلاغة، كقوله (١) « قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَنْتَهِهُ » . « إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ » أى فى زعمهم ، فإنهم من أهل لسان الرسول صلوات الله عليه ، ولا يتعذر عليهم مضاهاة بعضهم لبعض ، فى ميدان التساجل والتراسل .
القول فى تأويل قوله تعالى :

- [٣٥] (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)
 [٣٦] (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، بَلْ لَا يُوقِنُونَ)
 [٣٧] (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ)
 [٣٨] (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ، فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)
 [٣٩] (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ)
 [٤٠] (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ)
 [٤١] (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ)
 [٤٢] (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ)
 [٤٣] (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)
 « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ » قال ابن جرير (٢) : أى أخلق هؤلاء المشركون من غير

(١) [٢٨ / القصص / ٤٩] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣٣ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

آباء ولا أمهات ، فهم كالجناد لا يعقلون ، ولا يفهمون لله حجة ، ولا يعتبرون له ببرة ، ولا يتعظون بموعظة . وقد قيل : إن معنى ذلك أم خلقوا لغير شيء ، كقول القائل : فعلت كذا وكذا من غير شيء ، بمعنى : لغير شيء « أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » أى أنفسهم ، أو هذا الخلق ، فهم لذلك لا يأتَمرون لأمر الله ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه ، لأن للخالق الأمر والنهى « أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ » أى بوعيد الله ، وما أعد لأهل الكفر به من العذاب فى الآخرة ، فلذلك فعلوا ما فعلوا . « أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ » أى خزائن رزقه ، فهم لاستغنائهم معروضون « أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ » أى الجبابرة للتسلطون « أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ » أى مرتقى إلى السماء « يَسْتَمِعُونَ فِيهِ » أى الوحي ، فيدعون أنهم سمعوا هنا لك من الله أن الذى هم عليه حق . « فَلَيَأْتِيَنَّ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ » أى بحجة واضحة تصدق دعواه « أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ » أى حيث جعلوا ، لسفاهة رأيهم ، الملائكة إناثاً ، وأنها بناته تعالى ، مع أنه ^(١) (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) « أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا » أى أجره على إبلاغك بإيها رسالة الله تعالى ، « فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ » أى من التزام غرامة « مُتَّفَلُونَ » أى من أدائه ، حتى زهدهم ذلك فى اتباعك « أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ » أى منه ما شاءوا ، وينبئون الناس عنه بما أرادوا « أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا » أى بالرسول وما جاء به ، « فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ » أى المكور بهم دونك ، فتق بالله ، وامض لما أمرك به « أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ » أى له العبادة على جميع خلقه « سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ » أى : تنزيهاً له عن شركهم ، وعبادتهم معه غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ)

« وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ » هذا جواب لمشركى

(١) [١٦ / النحل / ٥٨] .

قريش الذين كانوا يستمعون العذاب ، ويقترحون الآيات ، كقولهم^(١) (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا) إلى قوله (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا). قال الزخشرى: يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم، لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب مراكوم بعضه فوق بعض ، يطرنا ، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٥] (فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ)

[٤٦] (يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)

« فَذَرَهُمْ » أى يخوضوا ويلعبوا ، ويلههم الأمل ، « حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ » أى يموتون « يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا » أى لا يدفع عنهم مكرهم من عذاب الله ، شيئاً « وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٧] (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

« وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ » أى دون يوم القيامة ، وهو إماعذاب القبر ، أو القحط ، أو النوازل التى تذهب بأموالهم وأنفسهم - أقوال للسلف - واللفظ صادق بالجميع « وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » أى سنة الله فى أمثالهم من الفجرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٨] (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)

« وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » أى الذى حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه ، وبلغ رسالته .

(١) [١٧ / الإسرائاء / ٩٠-٩٢] .

« فَأَيْنَكَ بِأَعْيُنِنَا » قال ابن جرير^(١) : أى بمرأى منا ، نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين .

وقال الشهاب : يعنى أن العين ، لما كان بها الحفظ والحراسة ، استمرت لذلك ، وللحافظ نفسه ، كما تسمى (الرينة) عينا ، وهو استعمال فصيح مشهور . ونسكتة جمع (العين) هنا وإفرادها فى قصة السكيب ، عدا عن أنه جمع هنا لما أضيف لضمير الجمع ، ووحد ثمة لإضافته لضمير الواحد ، هو المبالغة فى الحفظ ، حتى كأن معه جماعة حفظه له بأعينهم ، لأن المقصود تصبير حبيبه على المسكيب ومشاق التكليف والطاعة . فناسب الجمع ، لأنها أفعال كثيرة ، يحتاج كل منها إلى حارس بل حراس . بخلاف ما ذكر هناك من كلاءة موسى عليه السلام « وَوَسَّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ » أى من منامك .

روى الإمام أحمد^(٢) عن عبادة بن الصامت ، عن رسول الله ﷺ قال : من تمارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : رب اغفر لى (أوقال : ثم دعا) استجيب له . فإن عزم فتوضأ ثم صلى ، قبلت صلاته . وأخرجه البخارى^(٣) فى صحيحه وأهل السنن .

ورود من أذكار الاستيقاظ من النوم قول : سبحانه الله وبحمده ، سبحانه القدوس . و : لا إله إلا أنت ، سبحانهك اللهم أستغفرك لذنبى ، وأسألك رحمتك . اللهم زدنى علماً . ولا ترغ قلبى بمد إذ هديتى ، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .
وقيل : حين تقوم إلى الصلاة - روى مسلم^(٤) فى صحيحه عن عمر ؛ أنه كان يقول فى

(١) انظر الصفحة رقم ٣٧ من الجزء السابع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) أخرجه فى المسند بالصفحة رقم ٣١٣ من الجزء الخامس (طبعة الحلبي) .

(٣) أخرجه فى : ١٩ - كتاب التهجيد ، ٢١ - باب حدثنا على بن عبد الله ، حديث رقم ٦٣٤

(٤) أخرجه فى : ٤ - كتاب الصلاة ، حديث رقم ٥٢ (طبعتنا) .

ابتداء الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .
ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره ، عن النبي ﷺ ؛ أنه كان يقول ذلك . وعن
مجاهد : حين تقوم من كل مجلس . وكذا قال عطاء وأبو الأحوص .

روى أبو هريرة ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : من جلس في مجلس ، فكثرت فيه لفظه ، فقال
قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أستغفرك
وأتوب إليك - إلا غفر الله ما كان في مجلسه ذلك - رواه الترمذي وصححه ، وكذا الحاكم .
وأخرج أبو داود ^(٢) والنسائي والحاكم عن أبي بزة الأسلمي قال : كان رسول الله ﷺ
يقول بأخرة ، إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا
أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . فقال رجل : يا رسول الله ! إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله
فيما مضى ؟ ! قال : كفارة لما يكون في المجلس !
وقد أفرد الحافظ ابن كثير لهذا الحديث جزءاً على حدة ، ذكر فيه طرقه وألفاظه ،
وعلله ، فرحمه الله .

ولا يخفى أن لفظ الآية يصدق بالمواضع المذكورة كلها ، وتدل الأحاديث المذكورة على
الأخذ بعمومها ، فإن السنة بيان للكتاب الكريم .
القول في تأويل قوله تعالى :

[٤٩] (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ)

« وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ » أى اذكروه واعبدوه بالتلاوة والصلاة بالليل ، كما قال تعالى ^(٣)
(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بالصفحة رقم ٤٢٤ من الجزء الثانى (طبعة الحلبي) .

(٢) أخرجه في : ٤٠ - كتاب الأدب ، ٢٧ - باب في كفارة المجلس ، حديث ٤٨٥٩

(٣) [١٧ / الإسراء / ٧٩] .

وقد روى في أذكار الليل من التسابيح ما هو معروف في كتب الحديث . وقد جمعت ذلك معرّي عن أسانيدھا في كتابي (الأوراد الماثورة) .

«وَأِدْبَرَ النُّجُومَ» أي : وسبحه وقت إيدارھا ، وذلك بميلھا إلى الغروب عن الأفق ، بانتشار ضوء الصبح . وقد عني بذلك إما فريضة الفجر أو نافلته ، أو ما يشملهما . قال قتادة : كفا نحدث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر . وقد ثبت في الصحيحين^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من الفوافل ، أشدّ تعاهداً منه على ركعتي الفجر . وفي لفظ لمسلم^(٢) : ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها .

قال الزمخشري : وقرئ (وَأَدْبَرَ) بالفتح ، بمعنى في أعقاب الفجوم وآثارها إذا غربت .
تنبيه :

قال في (الإكليل) عن الكرماني : إن بعض الفقهاء استدل به على أن الإسفار بصلاة الصبح أفضل لأن النجوم لا إيدار لها ، وإنما ذلك بالاستتار عن العيون . انتهى . وهو استدلال متين .

(١) أخرجه البخاري في : ١٩ - كتاب التهجيد ، ٢٧ - باب تعاهد ركعتي الفجر ،

حديث ٦٣٨ .

وأخرجه مسلم في : ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ٩٤ و٩٥ (طبعتنا) .

(٢) أخرجه في : ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ٩٦ (طبعتنا) .